وسمع بالمدينة عن أهلها، ودخل اليمن فلقي أكابرها كالمجد صاحب القاموس وسمع منه، ومن غيره. وبرع في الحديث، وفاق أقرانه، وصار المعوّل عليه في هذا الشأن ببلاد الحجاز قاطبةً. وانتفع به الناس، وألّف مؤلفات منها: (الباهر الساطع من سيرة ذي البرهان القاطع)، وفي سيرة الخلفاء والملوك في مجلدين، وكذا في أذكار الكتاب والسُّنَّة، و(المطالب السنية العوالي بما لِقُريش من المفاخر والمعالي)، و(بهجة الدماثة بما ورد في فضل المساجد الثلاثة)، و(طرق الإصابة بما جاء في فضائل الصحابة)، و(تحفة العلماء الأتقياء بما جاء في قصص الأنبياء)، و(تأميل نهاية التقريب وتكميل التهذيب) جمع فيه بين تهذيب الكمال ومختصريه للذهبي وابن حَجَر، و(الإشراف على جميع النكت الظراف)، و(تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف) في ثلاثة مجلدات، وذيل على طبقات الحفاظ. (ومات) يوم السبت سابع ربيع الأول سنة ٨٧١ إحدى وسبعين وثمانمائة بمكة. ومن نظمه: [من البسيط]

قَالتْ حَبيبةُ قلبي عِنْدما نَظَرتْ ... دُموعُ عيني على الخَدَّيْن تَسْتَبِقُ
فِيما البكاءُ وقَدْ نِلتَ المُنى زَمناً ... فَقُلْتُ خَوْفَ الفراقِ الدمعُ يَنْدَفِقُ

٥١٧
(مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد العَلاء البخاريّ العَجَميّ الحنفيّ)[١]

ولد سنة ٧٧٩[٢] تِسع وسبعين وسبعمائة ببلاد العجم، ونشأ بها فأخذ عن أبيه، وعن السعد التفتازاني، وآخرين. وارتحل في شبيبته إلى الأقطار لطلب العلم إلى أن تقدم في الفقه والأصلين والعربية واللغة والمنطق والجدل والمعاني والبيان والبديع وغير ذلك من المعقولات والمنقولات. وترقَّى في التصوف، ومَهَر في الأدبيات. وتوجَّه إلى بلاد الهند، ونشر العلم هنالك. وكان مِمّن قرأ عليه ملكها. ثم قدم مكة فجاور بها. ثم قَدِم القاهرة، فأقام بها سنين، وانثال عليه الطلبة من كل مذهب، وعظّمه الأكابر وغيرهم، بحيث كان إذا اجتمع عنده القضاة يكونون عن يمينه وعن يساره كالسلطان، وإذا حضر عنده أعيان الدولة بالغ في وعظهم والإغلاظ عليهم. وتراسل السلطان معه بما هو أشد في الإغلاظ مع كونه لا يحضر مجلسه. وهو مع هذا لا يزداد إلَّا جلالاً ورفعةً ومهابةً في القلوب. واتفق في بعض المجالس عنده أن

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/ ٢٤١؛ الضوء اللامع: ٩/ ٢٩١؛ كشف الظنون: ١٢١٥؛ هدية العارفين: ٢/ ١٩١؛ معجم المؤلفين: ١١/ ٢٩٤؛ الأعلام: ٧/ ٤٦.
(٢) وفي رواية: في حدود سنة ٧٧٠هـ.

جرى ذكر ابن عربي، وكان يُكفِّره ويُقبّحه وكلّ من يقول بمقالته، فشرع العلاء في تقرير ذلك، ووافقه أكثر من حضر إلَّا البِسَاطي فقال: إنما ينكر الناس عليه ظاهر الألفاظ التي يقولها، وإلَّا فليس في كلامه ما ينكر إذا حمل لفظه على معنى صحيح بضربٍ من التأويل. ومن جملة ما دار في ذلك إنكار الوحدة، وقرّر العلاء إنكار ذلك، فقال له البساطي: أنتم ما تعرفون الوحدة المطلقة. فلما سمع ذلك استشاط غضباً وصاح بأعلى صوته: أنت معزول، ولو لم يعزلك السلطان، يعني لتضمن ذلك كفره عنده، واستمرّ يصيح، وأقسم باللَّه أنّ السلطان إن لم يعزله من القضاء ليخرجن من مصر. فأشير على البساطي بمفارقة المجلس إخماداً للفتنة. وبلغ السلطان ذلك فأمر بإحضار القضاة عنده فحضروا فسألهم عن مجلس العلاء، فقصّه كاتب السرِّ، وهو ممن حضر المجلس، فسأل السلطان الحافظ ابن حَجَر عن تكفير العلاء للبساطي وماذا يستحسن، هل العزل أو التعزير، فقال ابن حَجَر: لا يجب عليه شيء بعد اعترافه. وكان البساطي قد اعترف بكفر ابن عربي في مجلس السلطان، وأرسل السلطان إلى العلاء يترضَّاه، فأبى ورحل عن مصر. وكان قد أرسل إليه قبل رحلته عن مصر سلطان الهند بثلاثة آلاف شاش، ففرَّقها على الطلبة الملازمين له. وبعد ارتحاله سكن دمشق، وصنّف رسالة سماها (فاضحة المُلحدين) زيّف فيها ابن عربي وأتباعه.

واتفقت له حوادث بدمشق منها أنه كان يُسأل عن مقالات ابن تيمية التي انفرد بها فيجيب بما يظهر له من الخطأ وينفر عنه قلبه إلى أن استحكم ذلك عليه فصرَّح بتبديعه ثم تكفيره، ثم صار يُصرّح في مجلسه أن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الإسلام فهو بهذا الإطلاق كافر. فانتدب للردّ عليه الحافظ ابن ناصر، وصنّف كتاباً سمَّاه (الردّ الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الإسلام كافر) جمع فيه كلام من أطلق عليه ذلك من الأئمة الأعلام من أهل عصره من جميع أهل المذاهب سوى الحنابلة، وضمّنه الكثير من ترجمة ابن تيمية، وذكر مناقبه، وأرسل بنسخة منه إلى القاهرة، فقرّظه جماعة من أعيانها كابن حَجَر، والعلم البلقيني، والعيني، والبساطي. وكتب العلاء كتاباً إلى السلطان يغريه بمصنف الرسالة، وبالحنابلة، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك. وما كان أغنى صاحب الترجمة ذلك، ولكن الشيطان له دقائق، لا سيما في مثل مَنْ هو في هذه الطبقة من الزهد والعلم. قال السخاوي: ويقال إنّ جِنِّية كانت تابعة للعلاء، وكانت تأتيه في شكل حسن، وتارة في شكل قبيح فتتراءى له من بعيد وهو مع الناس فيغمض عينيه ويقرأ ويغيب عن الناس، فيظن أنه خشوع وتلاوة. وكان شديد النفرة ممن يلي القضاء ونحوه من جماعته، ولكن لما ولي الكمال بن البارزي قضاء الشام أظهر السرور وقال: الآن أمن الناس على دمائهم وأموالهم. وكان كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (ومات)

يوم الخميس الثالث والعشرين من رمضان سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة بالمزة، ودفن بسطحها. وقال المقري في عقوده: كان يسلك طريقاً من الورع فيسمح في أشياء يحمله عليها بعده عن معرفة السنن والآثار وانحرافه عن الحديث وأهله بحيث كان ينهى عن النظر في كلام النووي، ويقول: هو ظاهر، ويحضّ على كتب الغزالي. انتهى. ومن هذه الحيثية قال في ابن تيمية ما قال، وليس في علم إنسان خير إذا كان لا يعرف علم الحديث وإنْ بلغ في التحقيق إلى ما ينال.

(٥١٨)

(مُحمَّدُ بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مَحْمود بن الشَّهاب غَازي بن أيوب بن حُسام الدين مَحْمُود شحنة حلب المحب، أبو الفضل الحلبي)

الحنفي المعروف كسلفه بابن الشحنة[١]. ولد في رجب سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة بحلب، ونشأ بها فأخذ عن جماعة من أعيانها كالبدر بن سَلامة، وابنِ خطيب الناصرية. ورحل إلى دمشق والقاهرة فأخذ عن أعيانهما، وكان يتوقد ذكاءً وفطنةً حتى إنه سأله عمُّه وهو ابن اثنتي عشرة سنة أن يعارض قول الشاعر: [من الكامل]

أمطِ اللثامَ عنِ العذارِ السَّايلِ ... لِيَقُومَ عُذري فيكَ بَيْنَ عَواذلي[٢]

فقال بديهة: [من الكامل]

اكْشِفْ لِثامكَ عَنْ عِذَارِك قَاتلي ... لَتمُوتَ غَبناً إنْ رأتكَ عَواذلي[٣]

وولي قضاء حلب، وكثيراً من أمورها حتى صار المرجع إليه في غالب الأشياء بها، ثم ولي قضاء الحنفية بمصر وكتابة سرّها. وجرت له أمور يطول شرحها حسبما بسطه السخاوي في الضوء اللامع. وله تصانيف منها: شرح الهداية، كتب منه إلى آخر الغسل في خمسة مجلدات، واختصار المنار، واختصار النشر، وشرح العقائد،

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/ ٣٤٩؛ الضوء اللامع: ٩/ ٢٩٥؛ كشف الظنون: ٣٥٩؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٢١؛ هدية العارفين: ٢/ ٢١٣؛ معجم المؤلفين: ١١/ ٢٩٤؛ الأعلام: ٧/ ٥١.

(٢) أماط اللثام: نحّاه وأبعده. اللثام: النقاب يُوضع على الفم. العذار: الشعر النابت على جانب الوجه. السايل: السائل. العواذل: اللائمون.

(٣) الغَبْنُ: من غَبَنَهُ غَبْناً: غلبه ونقصه.